حوليات آداب عين شمس المجلد ٤٨ (عدد يناير – مارس ٢٠٢٠)
http://www.aafu.journals.ekb.eg
(دورية علمية محكمة)
جامعة عين شمس
كلية الآداب

مسرحية EVERY MAN بين التعبير القرآني والتعاليم السماوية

م. د. لمياء حسين علي*

جامعة بغداد - كلية العلوم الإسلامية - قسم اللغة العربية

المستخلص

ركزت هذه الدراسة (مسرحية Everyman بين التعبير القرآني والتعاليم السماوية) على الالتزام بالأوامر الربانية وعدم إضاعة الوقت في المعصية، فكانت مسرحية Everyman نموذجاً للمسرحيات الأخلاقية والدينية في ذلك الوقت.

مثلت المسرحية الجانب المشرق في الإنسان وهي الفطرة السليمة المحبة للفضائل والعمل الصالح الذي يمثل الحياة الأخرى في الروح الإنسانية، كما مثلت المسرحية الجانب المظلم الإنسان حين يسلك مسلك الجشع والرذيلة والطمع، فضلاً عن أن المسرحية تمثل مستويين من الدراسة، المستوى المجازي(Pilgrim journey) الرحلة المقدسة أو رحلة الصلح، كما تسمى في الديانة المسيحية لأنها طريق يمّر بمرحلة الاعتراف والتخلص من الذنب والمستوى الثاني هو المستوى الحقيقي (مستوى الحياة والموت). كذلك أبرزت المسرحية قوة وهيمنة فنيّ التصوير والتخيل بين مواقفهما حين رصدت مواطن القوة في المسرحية عن طريق الاستنطاق البشري للصفات المعنوية، كالصداقة، والخطايا، والعمل الصالح....الخ، وكيف تجسدت هذه الصفات حين نطقت وتحركت وقلقت ورحلت مع (Everyman) لتكمل حياتها معه في سفرهِ الطويل، وواكبت أحداثه، وعززت صور فنية عميقة ثابتة ومتحركة وصامتة وناطقة مارست الفعل في الدور الفني، واثبتت ردة الفعل في الإنسان المتلقي والمشاهد، فضلاً عن إلى احتواء المسرحية لبعض الصور التي تمنح الاطمئنان والتأمل في الفكر القرآني للمتلقي مع قوة الإدراك والقداسة في تعاليم الإنجيل المقدس.

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لحولية كلية الآداب - جامعة عين شمس ٢٠٢٠.

المقدمة:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه..

أما بعد..

عانت بريطانيا في النصف الأول من القرن السادس، من انتشار موجة الإلحاد والفساد العقائدي والنفسي وعليه تحمل المجتمع تبعات هذا الفساد من الناحية الإنسانية والدينية والعلمية ومن هذا المنطلق أقدم بحثي الموسوم بـ"مسرحية Every man" بين التعبير القرآني والتعاليم السماوية ليتضح أثر الرعاية العلمية في العهد الالزابيثي للحكم في بريطانيا والذي انقذ المجتمع من هذه المعاناة، حيث أولت الملكة الزابيث (١٥٥٨ - ٦٠٣م) - (١٦٠٣ - ٦٢٥م) الرعاية التامة لهذه الفترة حتى غدت أحد العصور الذهبية في تاريخ انكلترا الثقافي، والفني، لكونه مثل ذروة مرحلة النهضة الانكليزية وشهد ازدهاراً كبيراً في الشعر والموسيقى والأدب بأنواعه، وخاصة المسرح أو ما يطلق عليه المسرح الالزابيثي، فظهرت مسرحيات مثلت اتجاهاً ملتزماً ومغايراً للمسرحيات المعهودة سُميت بالمسرحيات The Miracle و The Morality، فكان الخط الديني والالتزام الأخلاقي هو المصدر الأساس لهذه المسرحيات التي حازت الانتشار والتأثير الأوسع.

مثلت مسرحية Everyman موضوع بحثي النوع الأخلاقي The Morality، وكان لها التأثير الأكبر بين مشاهدي ذاك العصر، بالرغم من كاتبها المجهول، وأرجح باعتقادي عدم معرفة كاتبها إلى غاية الوصول إلى نفسية المشاهد من خلال تعمده إلى إيصال الموعظة الدينية للمسرحية كما تصل الرسائل الربانية للبشر، والتي تكون على شكل مواقف وتتشكل للإنسان فتعيل إليه الثقة بالإقدار الربانية، أو تهلك ما بقي من إيمانه، ولم تكن مسرحية Everyman هي الملتزمة أخلاقياً في ذلك العصر بل كانت مسرحية The Jew of Malta "يهودي مالطا" للكاتب كريستوفر مارلو لها الأثر البالغ في المعالجات الأخلاقية من خلال رصد مواقف عنيفة تمتزج بملهاة قاسية تُعبر عن الكثير من الحكمة حيث دخل الإسلام لمدينة مالطا.

وكذلك مسرحية (Edwardll) أدورد الثاني للكاتب نفسهُ، وهي مسرحية تاريخية فيها العديد من المواقف الحقيقية التي تحدث للإنسان.

وكذلك أبدع الكاتب جون ليلي (١٥٥٤-١٦٠٦) في مسرحية (بوتيوس في إنكلترا العائدة) بالإضافة إلى مسرحيات شكسبير التي أخذت منحى آخر غير المسرحيات الرومانسية والتي واظبت على عرض تقنيات المسرح الإنكليزي القديم.

لقد حرصت في بحثي على إبراز علائق عدة في حوارات المسرحية الإنجيلية والتي حوّت أفكار الكتاب المقدس في تعظيم الربّ وإظهار نَعَمَهُ وسطوتهُ والخوف من الموت كرسول مرسل من الربّ تجلى وعلا. قد شابهت الأفكار الإنجيلية مع أفكار القرآن الكريم لكونها تنبع من مشكاة واحدة.

ولابد من الإشارة إلى نقطة مهمة، إلا وهي أن مسرحية Everyman لم تحوي على النصوص الإنجيلية بقدر ما حوّت أفكار القرآن الكريم، وسنتعرف إليها من خلال حوارات الربّ مع الموت، وحوارات الإنسان مع الخطايا، والنعم، والذي أخذ الفصل بأكمله ليحوي الفصل الثاني فنيّ التصوير والتخيل الذي تخلل المسرحية من خلال تشخيص واستنطاق الصفات، وإضفاء الصفات الإنسانية عليها من حيث الشعور بالندم والحب والعاطفة، فنجد أن الصدق يتكلم، والرحمة تناجي، والشهوة تدافع عن نفسها بأصوات مؤثرة وتعابير موحية للمتلقي.

ولقد استعنت بمصادر قيمة بدأت بالقرآن الكريم والكتاب المقدس، وعدد من التفاسير البلاغية التصويرية، وكتب تهيم بالصورة وأبعادها، وبالإضافة إلى كتب استنطاق الخطاب المسرحي على وجه خاص والدرامي على وجه عام.

وختاماً أقول: لقد أنزل الله تعالى الكتب السماوية ووسع القلوب لاستيعابها، والعقول لفهمها، وقدر حمل أمانته على المجتبين من عباده في جميع الديانات، وما كان بحثي إلا أن قرب الصورة وأوضح المفهوم في سماحة الأديان لحمل هذه الأمانة، فما كان من زلل فمني والكمال لله وحده.. والحمد لله رب العالمين...

الباحثة

تمهيد:

لابد أن نتوقع أكثر من علامة استفهام تدور في رأس القارئ للتعرف على نبذة تاريخية عن المسرح الالزابيثي أو (مسرح عصر النهضة)، أو (المسرح الكاثولويكي) الذي ولدّ هذا النوع من المسرحيات، ولماذا أكثر هذا النوع من المسرحيات الأخلاقية (Morality Plays) وما تأثيرها على حياة الناس في تلك الحقبة؟ وهل كانت مسرحية (Every man) أو (Every one)* خط البداية لهذا النوع من المسرحيات؟ ومن هم أهم المؤلفين لهذا النوع من المسرحيات؟

لعَلَ في المقدمة وأهم الأسئلة التي نبحث عن إجابات لها مُغنية في المسرح الألزابيثي الذي سمي بهذا الاسم في تلك المدة الزمنية في القرن الخامس عشر، نسبة إلى الملكة اليزابيث ملكة انكلترا، وكذلك سمي بـ(الدراما الالزبيثية) فهو عصر انفتاح وتطورٍ بالإضافة إلى الدوافع الملكية والعناية بالقراءة والفن(١).

كان حُكم الملكةِ اليزابيث في النصف الثاني من الخامس السادس عشر هو عصرَ ترجمةٍ، وفكرٍ، وتناصٍ، وازدهرت ترجمات عدة منها اللاتينية والأيطالية، الأمر الذي شهد نشأة المسرح الاليزابيثي (١٦٠٣م - ١٦٢٥م) أو (العصر الذهبي) ومع النهضة الفكرية التي فَرضَت وجودها بفضل تطلعات الملكة اليزابيث تكونت الفرق المسرحية المحترفة، والتي امتدت من إيطاليا، وأسبانيا ثم إلى انكلترا التي أثرَتْ المسرح الأوربي بتفاعلٍ مُشترك(٢)، وكان لابد من إثراءٍ ديني يواكب الازدهار الفكري، ومن بين هذا الازدهار ارتفاع المُثل والقيم عند الإنسان المسيحي الكاثوليكي، والعودة إلى إخلاقيات وتعاليم الكتاب المقدس، فكانت مسرحية (Everyman) خط البداية للمسرحيات الدينية والأخلاقية، لما تحمله من فكرة تصويرية تجسدية جديدة لعقاب القدير واغداق نَعمه، والفضائل الدنيوية، والاعتراف المؤدي إلى مغفرة الربّ سبحانه، وغيرها من مُسلمات الديانة المسيحية، أن قوة المعرفة ورعاية الملكة اليزابيث للقراءة والعلم والإبداع الفني حقق مكاسب فنية تمثلت في مسرحيات علمية تلت المسرحيات الأخلاقية والدينية، نذكر منها مسرحية دكتور فاوست أو (Doctor Faustus) بقلم كريستوفر مارلو (١٥٦٤م - ١٥٩٣م) وتُعد واحدة من أبرز رموز الأدب الغربي الحديث وهي تراجيديا بشرية تدور أحداثها حول الخلق والبقاء وهي صورة مميزة لمسرح عصر النهضة، فضلاً عن مسرحية (يهودي مالطا Malta Jewish) و (أدور الثاني) واستمرت المسرحيات بعدها عن هذا النهج.

والقارئ لمسرحية (Everyman) يجد أنها تسير مع النص القرآني المتجسد في قوله تعالى: ((وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُون * مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُون))(٣).

إذ تواجه الآية القرآنية الكريمة أحد أهم الأسئلة في المسرحية والركيزة الأساسية في كتابتها:

The Morality play seeks to answer the important religious " question what must a man do to be saved?"

تُعد المسرحية واحدة من أهم مسرحيات القرون الوسطى والمتفردة بأفكارها الدينية والاجتماعية، خاصة أنها مثلت دراما اعتمدت على فنيّ التجسيد والمحاكاة أي التصوير المعتمد على أيقاظ الخيال المرتبط بالضمير عبر تجسيد ما كُتب في النص والمعبر عن حالة وجدانية في عرض الفضائل السبعة(٤):

المعرفة	Knowledge	القوة	Strength
الصدقة	Charity	العقل	Mind
الجمال	Beauty	الحواس الخمسة	The Five Senses
العمل الصالح	Good deeds		

وكذلك عرض الرذائل التي طالما تمسك بها (Everyman) في الحياة الدنيا، وفضلها على الآخرة وطاعة الله ومن هذه الرذائل

الطمع Greed

والكبر Aging

والحسد Envy

رفيق السوء Bad Friend

إن دراما جاءت بعبارات مثلت الصراع النفسي والروحي ومعركة قوى الخير والشر في النفس البشرية، وذات الفكرة الروحية نجدها في القرآن الكريم الذي يُعلمنا سُبل الخير والشر وإتمامه في النفس الإنسانية، وبالمقارنة نجد هذا الصراع يمثل المحاولة المسيحية لتحقيق الخلاص، رغم العوائق والإغراءات التي تواجه الإنسان في رحلة الحياة لقد قامت فكرة المسرحية بتصوير النفس الإنسانية، وتأثرها الروحي والنفسي للتوق إلى توبة عن طريق الاعتراف بالخطيئة للوصول إلى رضا القدير.

وبالرغم من أن هذه الأفكار نجدها في المسرحية إلا أن المرجح أن مسرحية (Everyman) مأخوذة من مسرحية هولندية بعنوان (Elckorlic) والتي تعني باللغة الهولندية (كل إنسان) وكلتا الفكرتين الهولندية الانكليزية تتوافق مع البلاغ الرباني في قوله تعالى: ((وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا))[٥].

ثم بعد تحقيق مفهوم الخلاص الرباني نجد فكرة المسرحية تصل إلى مرحلة فكرية متقدمة في هدم فكرة النظام الطبقي المقيت وتحقيق المساواة بين طبقات المجتمع عن طريق رسول الرب (الموت) الذي سيأخذ الفقير والغني، الصغير والكبير فعندما تكون الأشياء واحدة ويصبح المسرح صورة حقيقية لحياة المجتمع وبدون أن يفقد المسرح فنيته وجماليته يكون المسرح مؤثراً وحتى مع بعض التصريح في ثنايا المسرحية إلا أن الرمز كان مسيطراً على أجواء المسرحية التي صورت الحوار والمشهد والحدث التي احتوت على الميلودراما Melodrama[٦] وهي "المبالغة في إظهار العواطف المليئة بالإحساس، والقدرة على استعمال الحواس الخمسة أمام الجمهور بشكل مباشر، لذلك عُدت (الميلودراما) أنها مثالية للتعبير عن مكنونات النفس والحياة[٧]، ان استحواذ التصوير والتخييل على أجواء المسرحية كان له مستويين من العمق والتفكير "المعنى الأول مستوى أدبي (رجل يقوم برحلة طويلة ومقدسة) والمستوى الثاني (مجازي) (رحلة كُلّ حَيّ مِنْ الحياةِ إلى الموت وكلّ إنسان يصنَعَ الرحلة المناسبة له)، في أثناء فهمه للإشارات والأوامر والنواهي الربانية لكلا المستويين.

وكما أن للعمل الصالح أثره في القرآن كان النهي عن الرذائل وعدم التمسك بها موجودة أيضاً في قوله تعالى ((سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ))[٨]، ((فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ))[٩].

وكما إن للرذائل أذى لا سبيل للخلاص منها، فإن للفضائل أثراً طيب في حياة الإنسان وخاصة في) هذه المسرحية؛ لأن الفضيلة أوصلته إلى المعرفة التي وقفت معه إلى الاعتراف والتسوية ومن ثَمَ حَصَلَ على القبول الرباني وبذلك استراح (Everyman) لأن

رَفيقه الحقيقي العمل الصالح بَقيّ مَعهُ ونزل إلى قبره وتعاهد معه بالبقاء في تلك الرحلة الطويلة وبذلك كُفن (Everyman) ونزل إلى قبره بسلام.

قوة الاستهلال:

المقدمة أو الاستهلال أو التمهيد، هو مصطلح يشير إلى بداية العمل المسرحي قبل دخوله الكورس، إذ كانت التراجيديا قديماً تتألف من المقدمة ثم فصل ثم خاتمة وغناء الكورس[١٠]، أما في مسرحية Everyman فلقد كان الاستهلال جزءاً كلا للتراجيديا التي تسبق دخول الكورس وبنظري يُعدّ الاستهلال المسرحي التفصيلي لمسرحية Everyman هو استهلال تفصيلي اتسع ليشمل الأفكار والحوارات وهذه الطريقة لا تتبع مدرسة أو اتجاهاً فكرياً بقدر ما تتبع البنية الفنية لفن المسرحية نفسه، ومع أن قراءة المسرحية أو سماعها يخضع لمنطق الأدب في تجسيد وتشخيص الرب والموت كأبرز موضوعي للاستهلال، إلا أننا حين نشاهدها نجدها تخضع لمنطق الفن المسرحي على إن الاستهلال هو البداية الصعبة التي تنضج بمعنى أو معزى الإخراج الدراسة دراسة فنية أخراجية معقدة فهو الضربة الأولى التي يفسر بها المخرج روايته ويخضع الجمهور والنقاد ومن ثم نحت الرؤى الإخراجية له[١١].

تبدأ المسرحية باستهلال مشهدي تصويري، فالمشهد في حال (هبة وقلق وريبة وتعظيم، مما يعطي انطباعاً لأهمية المشهد الواقعي وكيفية حدوثه وهو حوار الربّ وامتعاضه من Everyman من خلال استهلال حواري محتدم منذ البداية وهذه بداية المسرحية الحقيقية، عندما يرسل الرب الموت ليستدعي الشخصية الرئيسة (إنسان عادي) حواراً ربانياً احتوى العديد من مفردات الأنجيل والرهبان، فلقد تم إبداع مفردات أثرّت القاموس الديني العربي وأحياناً أعطت دلالة لكلمة لا تجد لها قرينة خارج حقل أدبيات الرهبان، فاللغة الإسلامية بمفرداتها ومستواها الأول تستعمل المجاز لمفردات غاية في الحسية ولقد سار المتصوفة المسلمون على هذا الدرب، فأصبحت القبل والخمور والحسان رموزاً لمعاني غاية في الروحية باستثناء مفردات بسيطة.

كُتبت المسرحية شعراً بإيقاع جميل مع الالتزام بالقافية في بعض مواطنها، مثلاً الرُّب عندما يتكلم نجد قافيتين تتناوب مع بعضهما في صوتٍ متناسق يقول:

I Perceive here in my Majsesty
How that all the creatures be to me unkind: Living without dread in wordly prosperity of ghostly sight the peoplebe so blind Drowned in sin, they know me not for their God.
In wordly riches is all their mind.
They fear not my rightwiseness, the sharp rod my low that I shewed, when for them died forget clean, and sheding of my blood red.
I hanged between two, it cannot to denied 10 get them life isuffered to be dead[12].

الرب في أعالي الجنة يرسل الموت
لاستدعاء كل حي أو كل مخلوق ليأتي
وليحاسبوا على ما فعلوه في حياتهم
كم هم عابرون وفانون
لا تكن سفيهاً أبداً أيها الإنسان

الخطيئة حلوة جداً في البداية
عندما تخطر في ذهنك
والتي في النهاية ستأخذ روحك للحسرة والندامة
عندما يتمدد جسمك في الطين
سترى كل الصفات الجميلة تذبل كالزهرة في مايو
لأنك سترى كيف أن مليكنا السماوي، دعا إنسان عادي إلى الحساب
يجب أن يدرك البشر عظمتي
كيف كل تلك المخلوقات لا تخضع لي
تعيش بلا رب، في ازدهار لدنياهم
أرى الناس في هذا العالم الزائل يتخبطون في العمى

استهلال مهيب لرب العزة، ومدوي في نفس Everyman في خليط من الرهبة، والجبروت، والتذكير بالنعم الربانية ويحيلنا أمر هذه الاستهلال إلى فكرة عظيمة في القرآن نُعد استهلال راقٍ للقرآن الكريم وهي سورة الفاتحة، التي تبدأ بكلام الله سبحانه وتعالى ((الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين))[١٣].

الحمد الثناء على الجميل من نعمه أو غيرها[١٤]، مع المحبة والإجلال[١٥] "فالحمد أن نذكر محسن الغير سواء كان ذلك الثناء على صفة من صفاته الذاتية كالعلم والصبر والرحمة والشجاعة، أم على عطائه وتفضله على الآخرين"، فالحمد صفة عظيمة في القرآن الكريم واستهلال راقٍ في سورة الفاتحة، عن أبي هريرة (رضي الله عنه): قال سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: قال الله تعالى: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سأل: ماذا قال العبد الحميد لله رب العالمين قال الله تعالى: حمدني عبدي، وإذا قال الرحمن الرحيم، قال الله تعالى أثنى عليّ عبدي، وإذا قال مالك يوم الدين مجدني عبدي[١٦].

الاستهلال العميق في فجواه، المبين لعظيمة الخالق ونعمه على عباده مع الشعور بالقوة والهيمنة الربانية بأنه مالك العباد، ومستحق العبادة هي ذات الفكرة الكاثوليكية الأنجيلية وعند وجود في (Everyman) ينتهي كلام الرب ويبدأ الموت كلمته مع استمرار أجواء الرهبة والسكوت وتجسد صورة الموت يتكلم ويخجل من عظمة الرب، ويتحرك أمام الناس تصوير مخيف، ومقرب للأذهان بأنه (الموت) يحيط بنا من كل مكان وأقرب لنا من الوريد. قال تعالى: ((وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ)) [١٧].

- Lord, I will in the world go rur over all.
- And cruelly outsearch both great and small.
- Everyman will I best that liveth beastly out of cods laws, and dreadeth not folly.
- He that loveth riches I will strike with my dart.
- His sight to blind and from heaven to depart.
- Except that alms be his good friend in hell for to. Dwell world with out end.

الموت يتكلم عن إنسان بامتعاظ شديد، الإنسان الذي أهمل الحياة الروحية، وهو نادم على ذنوبه التي واجهه بها ملك الموت (رسول الله إلى كل إنسان).
يا ألهنا العظيم. أنا هنا عبد لمشيئتك

فكل وصاياك محققة
سأذهب إلى العالم وأطوف في طوباه
باحثاً جاداً عن كل إنسان عظيم أو حقير
وسأهجم عليه حيث الحياة المقفرة
سأضربه بسهمي لأنه فضل زينة الدنيا
وألقيّ به إلى الجَحيم خالداً مخلداً فيها
لم يفكر يوماً بقدومي ، منشغل برغبات الجسد

عند قرائتنا للنص (الحوار المقدس بين الرب جلّ وعلا مَع الموت نجد عدة أفكار متشابهة مع أفكار الكتاب المقدس وأفكار القرآن الكرين من جوانب عدة:

١. إن الموت جندٌ من جنود الله، يرسله الله تعالى بأمر منه إلى الخلق: ((وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا))[١٨].

٢. الموت قد غضب من فعل ابن آدم، لأنه يأخذ نعم الله، وينكره في معصيته وإجحافه مشغولاً بملذات الدنيا ((وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ))[١٩].

٣. مراوغة Everyman للتخلص من الموت، بمساعدة الأقرباء والرفقة السيئة والأسرة، لكنه لم ينتفع، قوله تعالى: ((وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ))[٢٠].

الموت محطة لحياة أخرى ليكون الخيار فيها لـEveryman أمام حياة رغيدة، أو عذاب مقيم.

إن ميزة الـ(Dialogue) كانت ميزة عظيمة ومهمة في المسرحية كشفت عن هوية مرعبة للإنسان في معصيته وغوايته، وأيقن أن الموت مفاجئاً لا إنذار فيه، لذلك كان الموت الشخصية الثانية القوية بعد الرب سبحانه والحقيقة الماثلة أمام الإنسان، قال تعالى:
((كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً))[٢١].

إن رحلة الحساب في Everyman المقدسة أو كما تسمى رحلة الحج Pilgrimage هي رحلة طويلة، وبما أن الموت هو أمر رباني يأتي لكل إنسان شريطة تقديمه كشف بحسابات الحسنات والسيئات وكذلك يراهن الموت (Everyman) على أخذ رفقاء معه إلى الرحلة، فيرفض الكل إلا العمل الصالح (Good deed) التي تعلم (Everyman) على طريقة الخلاص الروحي والجسدي وعلى طريق الاعتراف، ومن ثم التوبة.

المشاهد من Everyman بين التصوير والتشخيص

تتوزع مشاهد التصوير والتخيل في المسرحية وخاصة عند احتدام الأحداث واقتراب خطر الموت، الذي يراهن Everyman بأنه سيترك له حرية اختيار أصحابه في رحلة الحج أو (الموت) متحدياً النفس البشرية المكابرة بأن هناك غير الحسنات أو العمل الصالح.

ولم يكن لتصوير المشاهد الحوارية، بدقة تفاصيلها ومشاعرها وأحوالها وندمها لولا صفة التجسيد والتشخيص اللاتي ألبست المسرحية ومحتوياتها من (الحسنات، الصداقة، الجمال، الحواس الخمسة، العقل...) صفة الحركة والنبض فكانت هذه الصفات التي كان يستلذ بها (Everyman) منشغلاً عن ميعاد الرب نراها تتكلم وتنطق وتتألم وتمرض وتنشط "أننا نعبر بالصورة المجسمة المتخيلة عن المعنى الذهني واحالة النفسية والنموذج الإنساني، كما يُعبر عن الحادث المحسوس والمشهد المنظور، ثم يرتقي بالصورة التي

رسمها فيمنحها الحياة الشاخصة، والحركة المتجددة، فإذا المعنى الذهني هيئة وإذا احالة النفسية لوحة وإذا النموذج الإنساني شاخص حي، فأما الحوادث والمشاهد والقصص والمناظر فيردها شاخصة فيها الحياة والحركة، وإذا أضاف إليها الحوار فقد استوت كل عناصر التخيل"[٢٢].

وهذا ما يُلاحظ ويستشعر به في مشاهد معاينة الرب لعباده وخجل الموت أمام الرب من افعال العباد وانحنائه أمام العظمة الربانية رغم إنذاره يومياً للبشر بأنه قريب جداً مهم، وفي مشاهد استنطاق الفضائل وتفرق وانسحاب الرذائل وارتفاع صوت المعرفة، وغدر الصديق، ومن ثم تنتهي هذه المشاهد بفكرة واحدة متأصلة في الأنجيل والقرآن إلا وهي دوام العمل الصالح وبقائه وفياً حتى بعد الممات، فالتجسيد ومنهم من عرّفه هو الاستعارة، إذ تخلع صفات الإنسان على ما هو محسوس ومعنوي وأشار إلى ذلك الجرجاني، فكانوا من أوائل من أشاروا إليه في كتابهِ (أسرار البلاغة)[٢٣].

أما التشخيص:

تأملت الآيات القرآنية التي حوت التجسيد، والتشخيص في أكثر من موضع قال تعالى:

((يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ))[٢٤].

((وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا))[٢٥].

((إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا))[٢٦].

فإذا ما دققنا قراءة الآية الأولى (يوم نقول لجهنم...) يقول: اي أذكر ذلك اليوم الرهيب أيها الإنسان، يوم يقول الله لجهنم هل امتلأت فتقول هل هنالك زيادة؟

إن هذه الصور المتعددة لصيغ التخيل والتصوير (التجسيد والتشخيص) أعطت تعريفاً آخر للتخيل على أنه تركيب فني عكسي ما هو قائم في الكون، وهو قوة النفس تحفظ ما يدركه الإنسان وهي احس المشترك من صور المحسوسات بعد غيبوبة المادة، وهو قوة إدراك باطنة تتضمن هذه القوة استعادة صور المحسوسات المختزنة من الخيال والصورة، وتتعدى وظيفتها إلى ابتكار متميز، بمعنى أن هذه القوة تأخذ: الصور المختزلة في احيال وتعيد تشكيلها في هيئات جديدة لم يدركها الحس من قبل"[٢٧].

وترى الباحثة إن المسرحية وصلت إلى مرحلة التخيل عند المستمع وذلك في توافر شروط التخيل الحسي بمعنى اقتراب الشيء المحاكي من الشيء المحاكى.

لنقرأ قوله تعالى: ((إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا)) [٢٨]، أي أن جهنم إذا رأت هؤلاء المشركين، من مسافة بعيدة وهي خمسمائة عام سمعوا لها تغيظاً وزفيرا، أي سمعوا لها صوت لهيبها وغليانها كالغضبان، إذا علا من الغيظ، وسمعوا لها صوت كصوت زفير الحمار، قال ابن عباس: إن الرجل ليُجر إلى النار، فتشهق النار شهقة البغلة إلى الشعير، وتزفر زفرة لا يبقى أو لا يسمعها أحد إلا خاف[٢٩].

قال تعالى: ((يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ))[٣٠].

وقال تعالى: ((وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا))[٣١].

وقال تعالى: ((فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ * وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ))[٣٢].

لقد استوت كرة البراءة من الأهل والخلان، في ذاك اليوم العصيب وانقطاع الوصل، وعلائق الأسباب في الآية القرآنية واضحة جلية فقد جاء في التفسير "اي في ذلك اليوم الرهيب يهرب الإنسان من أهله، وأخيه، وأمه، وأولاده، لانشغاله بنفسه"[٣٣].

وجاء في تفسير القرطبي: "ذكر الله الفرار من الأحبة ورتبهم مراتب حسب الشفقة والحنو، فبدأ بالأقل وختم بالأكثر، لأن الإنسان أشد شفقة على بنيه من كل ما تقدم ذكره"[٣٤].

قال تعالى: ((الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ))[٣٥].

كل الأصدقاء أعداء إلا المتقين، أو المؤمنين، قال ابن عباس ومجاهد: كل خلة عداوة يوم القيامة إلا المتقين بعضهم لبعض يلين بعضهم لبعض أخلاء في الدنيا والآخرة، وذات الفكرة موجودة في المسرحية، حين تخلى Friendship عن مرافقة Everyman في رحلته الطويلة، حين بدأ Everyman حزنه بحوارٍ طويل مع Friendship الذي انتفض وبأصرار بأنه يفعل أي شيء لأسعاده وأن يصلي لأجل أرجاع البسمة إلى وجههن فاطمئن Everyman وعلّم أن Friendship صديقٌ مخلص:

Everyman, yea, good friendship, yea.
Iam in gneat jeopardg.
Friendship my true friend, show to me mind in the way of good company.

تكون الصدمة حين يسمع منطق (Friendship) في قصَ معاناته ورغبته للذهاب معه في الرحلة المقدسة، وأنه سيحاسب على ما قدم ويجب أن يقدم كشف بالحسنات والسيئات، وأن الموت موجود الآن معه، ووفاءً على الأيام الخوالي فإنه يطلب أن يرافقه في هذه الرحلة لكن هيهات لأنهم كانا أخلاء دنيا ومصالح وملذات قائمة ومتاع دنيوي، صداقة لا تنفع بخيرها ولا تؤتي ثمارها ولا تمنع بشرها، وهذه كانت صداقة إذ أن هناك يوماً يرجعون فيه إلى القدير ويحاسبون على صغائر الأعمال وكبيرها، فكانت الصفعة واضحة حين أجابهُ (Friendship) قائلاً:

Friendship: So, I said. Certainly
And also we took such a journey when should we com again?
Everyman, Nay, never again. till the day of doom.

إنها صدمة القانون الرباني: لا رجوع بعد الموت، لا رجوع من هذه السفرة الطويلة المقدسة، لأننا عشنا طويلاً بملذات الحياة، ولقد راهنت عليك يا صديقي.

Everyman: I needed, Death, Was with me here.

فرد عليه (Friendship) مرتعباً، ومهاجماً على ما سيقوله (Everyman)

Friendship: If Deayj were the ,essenger for no man that is living to day.
I will not go that to the jorney.
Not for the father that begt me!

لن أذهب في هذه الرحلة، أو إلى أي مكان معك ولو كان هناك والدي.

إن التصوير قدم لنا صفة (Friendship) يتكلم ويشعر ويهرب ويتردد في موضع الخوف، وتمنح لنا صورة محسوسة بشعور الخوف والرهبة وخاصة عندما يقول له:

I needed, death was with me here!

لو تأملنا في المسرحية لأدهشنا كما أننا نلمح انقسام المسرحية في عرض تجسيدي وتشخيصي للفضائل والقيم وغيرها إلى تتويج التخيل الحسي وخاصة في كلام الرب، أنين وندم وبكاؤه فكلام ارب تخيل في حركة تنبض به الحياة المضمرة في الوجدان (محاكاة الضمير) الذي يبث الموعظة في شتى الصور، أما الظاهرة الأهم التي هي محور حديثنا، ظاهرة التجسيم تجسيم المعنويات المجردة وإبرازها أجساماً والمحسوسات على العموم، ولعل أفضل تصوير لمعنى التشخيص هو خلع الحياة على المواد الجامدة،

والظواهر العنيفة، والانفعالات الوجدانية هي التي قد ترتمي وتصحيح حياة إنسانية تشمل المواد والظواهر والاتصالات، وخلجات إنسانية تشار لها الأدمية وتبتدى لهم في جميع الملابسات وتجعلهم يحسون بالحياة في كل شيء تقع عليه العين، أو يلتبس به الحس، فيأنسون بهذا الوجود أو يرهبونه"[٣٦].

ترتكز الدراما على شعور Everyman شعور العزلة والوحدة حيث يذهب كل حي لملاقاة ربه متخلياً عن واجهته الاجتماعية، وكل الأشياء التي يقدسها ويعبر لها أهمية في حياته الدنيوية، الرفقة (Friendship) (Riches) ويشعر بتزايد العزلة عندما رفض الكل مرافقته وأنه سيلاقي ربه وحيداً.

إن الاعتراف من قبل (كل حي Everyman) يعطي فرصة التخلص من الذنوب في أثناء الاعتراف بناءً على العقيدة الكاثوليكية التي سادت في تلك المدة الزمنية ظهور المسرحية في القرن الخامس عشر، فإن الأعمال الصالحة هي خطوة ضرورية للتخلص من الذنوب.

تلعب المعرفة (Knowledge) دور المنقذ في المسرحية.

(Knowledge leads Everyman to conffssion) في أثناء تمهيد الطريق له للخلاص، إذ تشير عليه بالاعتراف لأنها لا تستطيع مصاحبته لضعفها وقلة حيلتها، أن (Everyman) كان هاجراً للعلوم الأخرى، وكان متأثراً عقلياً وسلوكياً بالملذات الدنيوية، ونجد أن الكرة ذاتها في القرآن الكريم إذ يرشدنا الله تعالى إلى زيادة التزود بالعلوم الشرعية والعلمية، قال تعالى: ((اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ))[٣٧]، وقال سبحانه وتعالى: ((إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ))[٣٨].

لقد شمل التخيل أو التصوير خليطاً من وصف مستفيض لأحوال الشخصيات، فنرى كم هائل من الانطباعات والخواطر والوثائق وأخبار متفرقة عن مصائر الشخصيات بدون مراعاة للزمن أو السياق الزمني المتدرج "لأن السرد يتراجع إلى الماضي فيسهب في التفاصيل ويتقدم إلى المستقبل فيطنب في رسم ملامح الشخصيات طبقاً لمزاج الشخصية، ورغبتها في الإلحاق أو الاستبيان"[٣٩].

ولطالما اقتربت فكرة العلم والمعرفة بالعمل الراسخ في القرآن الكريم، وذلك لأن المعرفة أقلاب بعدم قدرتها على الوقوف والصمود والشفاعة ما لم تكن الحسنات كثيرة وخالصة لوجه القدير.

Knowtedll: Everyman I will go with the and be. They guide.

ومن ثم يستعد للذهاب سوية مع Everyman

Knowledyl: Now go we together tovingly to confession, that eleansing

وكان الاعتراف وسيلة للوصول إلى بر الأمان في الديانة المسيحية

- Everyman: for joy I weep, I would you more there.
- But, I pray you. give me congnition

وأخذت المعرفة (Everyman) إلى الاعتراف برفقة الحسنات والأعمال وهي الباقية إلى النهاية في هذه الرحلة

Knowlcles lead Everyman to confession

بعد الاعتراف والتسوية تنهض المعرفة وقد بدت حسناء شابة قوية قادرة على متابعة مشوارها مع (Everyman) الذي أخذته إلى رفيقه الأخير والذي أعلن بشجاعة قدرته على البقاء معه طيلة رحلته في الآخرة حتى الوقوف مجيباً أمام الرب.

Good Deeds: Where to be, You?
Good Deeds. Speak up from the ground from the
Thy sins hath me sore bound
That I cannot stir
Everyman, I have understanding
That ye be summoned account to make before messias of Jerusalem king if you do by me that journey. With you my moan to make.
I pray you, that ye will go with me.

بعد حوار طويل الحسنات أو العمل الصالح مع (Everyman).

العمل الصالح: هيه أنت هل تريد مني شيئاً؟

الأنسان: لقد اهملتك كثيراً.

إلا كيف استطيع أن أعمل أو أنطق قولاً يشفع لي في هذا اليوم الصعب.

العمل الصالح: ولكني أرشدك إلى ما فيه خيرك.

أنا معك سأبقى ، سأذهب معك إلى الرب.

إن القليل الذي فعلته من أجلي جعلني أفعل الكثير لك.

صدق رب العزة لم يبق إلا العمل الصالح

قال تعالى: ((وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا))[٤٠].

وقال أيضاً: ((فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا))[٤١].

وقوله جل وعلا: ((وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ))[٤٢].

وأخيراً تقول: سواء كانت الصور موحشة أو محققة عن النفس، أو كانت مدهشة أو فاتنة، أو ثابتة أو متحركة أبيض وأسود أو بالألوان، صامتة أو ناطقة، فإنها تمارس الفعل وتحث على رد الفعل، أن بعض الصور تمنح نفسها اطمئنان وتأمل، أو رعب وريبة ومع ذلك لا نعتق هذه الصور من مس الإرادة، وقوة الإدراك أو قوة القداسة أو التماشي مع الزمن[٤٣].

Abstract

Every Man Play Between The Quranic Expression And Celestial Teachings

By Lamia Hussein Ali

This study focused on (play Everyman Between the Qur'anic expression and heavenly teachings) on adhering to divine commands and not wasting time in disobedience, so it was a play Everyman a model for the moral and religious plays of the time.

The play represented the bright side in the human being, which is common sense, love for virtues and good deeds, which represent the other life in the human soul. Pilgrim journey the holy journey or the journey of reconciliation, as it is called in the Christian religion, because it is a path that passes through the stage of confession and elimination of guilt, and the second level is the true level (the level of life and death). The play also highlighted the strength and dominance of the artists of photography and imagination between their positions when it detected the strengths of the play through human questioning of moral qualities, such as friendship, sins, good deeds ... etc., and how these characteristics were embodied when they uttered, moved, set off and left with(Everyman) .To complete her life with him on his long journey, accompany his events, and reinforced deep artistic images that are static, moving, silent and speaking. She practiced the act in the artistic role, and proved the reaction in the recipient and the viewer, as well as the play contains some images that give reassurance and contemplation of the recipient's Quranic thought with the power of perception and holiness in the teachings of the Holy Bible.

الهوامش

* مسرحية (Everyone) النسخة الهولندية لنفس المسرحية، ينظر: Introduction of drama.

(١) أضواء على المسرح الإنكليزي، د. نهاد صليحة، المكتبة المصرية العامة، ٢٠٠٥، ١٢.

(٢) التيارات المسرحية المعاصرة، نهاد صلي، لبنان، ٢٠١٥، ٢٠.

(٣) سورة الذاريات/ ٥٧.

(4) Introduction of Drama: George Whitfield Oxford University press, p.31.

(٥) سورة الاسراء: ١٣.

(٦) ينظر: تشريع الدراما Martin Aslen، ترجمة: يوسف عبد المسيح، لبنان، ١٣.

(٧) ينظر: البناء الدرامي، عبد العزيز حمودة، مصر، ١٩٩٨، ١٦.

(٨) سورة الأعراف: ١٤٦.

(٩) سورة الزمر: ٣٢.

(١٠) ينظر: فن الشعر، أرسطوطاليس، إحسان عباس، ٣٠.

(١١) ينظر: الاستهلال في البدايات في النص الأدبي، ياسين البصر، وزارة الثقافة، بغداد، ١٩٩٣.

(12) Introduction to Drama: Geonge 32-33 whitfield oyford university, Press, 1938.

(١٣) البحر المحيط في التفسير، أبو حيان، محمد بن يوسف بن حيان، تحقيق: صدقي محمد جميل، بيروت، ط١، ١٨/١.

(١٤) البحر المحيط، ١٨/١.

[١٥] تفسير الكشاف عن تعانق التنزيل وعيون الأقاويل في وجود التأويل، جار الله الزمخشري، تحقيق: محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية،
[١٦] ينظر: صحيح مسلم، ط١، (٣٩٥/٣٨)، ص٢٠٣. (الحديث صحيح)
[١٧] سورة ق: ١٦.
[١٨] سورة آل عمران: ١٤٥.
[١٩] سورة الأنفال: ٥٠.
[٢٠] سورة ق: ١٩.
[٢١] سورة الأنبياء: ٣٥.
[٢٢] ينظر: التصوير القرآني، سيد قطب، مصر، ١٩٧٣، ٥٧.
[٢٣] يُنظر: أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني: .
[٢٤] سورة ق : ٣٠.
[٢٥] سورة الكهف: ٤٩.
[٢٦] سورة الفرقان: ١٢.
[٢٧] ينظر: معجم السرديات، محمد الاضين مؤسسة محمد بن عبد البشر، تعرض، ٧٤.
[٢٨] سورة الفرقان: ١٢.
[٢٩] ينظر: تفسير الصفوة، ٢٠، ٢٠٦.
[٣٠] سورة عبس: ٣٤- ٣٥.
[٣١] سورة المعارج: ١٠.
[٣٢] سورة الشعراء: ١٠٠-١٠١.
[٣٣] ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل، أبو القاسم الغرناطي، دار الكتب العلمية: ١٨٠/٤.
[٣٤] القرطبي، ٤٩٤.
[٣٥] سورة الزخرف: ٦٧.
[٣٦] ينظر: التصوير الفني، سيد قطب، ٥٩.
[٣٧] سورة العلق: ٣-٥.
[٣٨] سورة فاطر: ٢٨.
[٣٩] التخيل التاريخي، السرد والتجربة الاستعمارية، عبد الله إبراهيم، لبنان، ٢٠١١، ٥١.
[٤٠] سورة النساء: ١٢٤.
[٤١] سورة الكهف: ١١٠.
[٤٢] سورة الأحقاف: ١٥.
[٤٣] ينظر: حياة الصورة وموقعها، ريجيس دوبري Reches Bobree، ترجمة: فريد زاهي، دار الكتب والوثائق، بغداد، ٢٠٠٧، ٣٠.

المصادر

- القرآن الكريم.

١. الاستهلال في البدايات في النص الأدبي، ياسين نصير، وزارة الثقافة، بغداد، العراق، ١٩٩٣.
٢. أضواء على المسرح الإنكليزي، د. نهاد صلبي، ط١، الهيئة المصرية العامة، ٢٠٠٥.
٣. البحر المحيط في التفسير، ابو حيان محمد بن يوسف بن علي بن حيان (٧٤٥هـ) ت: صدقي محمد جميل، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٨.
٤. البناء الدرامي، د. عبد العزيز حمودة، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٩٨.
٥. التجسيد في الدرس البلاغي والنقدي عند العرب، فاضل التميمي، العراق، بغداد، ٢٠٠٧.
٦. التخيل التاريخي، السرد والامبراطورية، التجربة الاستعمارية، عبد الله إبراهيم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان، بيروت، ٢٠١١.
٧. التسهيل لعلوم التنزيل، أبو القاسم محمد بن أحمد الكلبي الغرناطي ت(٧٤١هـ)، ت: محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، ١٩٩٥.

٨. تشريح الدراما Marteen Aslen- ترجمة وتحقيق: أسامة منزلجي، عمان، دار الشروق للنشر والتوزيع، ١٩٨٧.
٩. التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، مصر، ١٩٧٣.
١٠. تفسير الكشاف في حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، جار الله الزمخشري (٥٣٨هـ)، ت: محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية.
١١. التيارات المسرحية المعاصرة، د. نهاد صليحة، مكتبة الكتب، لبنان، ٢٠١٥.
١٢. الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري (٦٧٨)، دار الكتب المصرية، ط٢، ١٩٣٥.
١٣. حياة الصورة وموتها، Reches Dobree، ترجمة: فريد زاهي، دار النساجون للنشر والترجمة، دار الكتب والوثائق العراقية، ٢٠٠٧.
١٤. صحيح مسلم، للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت٢٦١هـ)، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م
١٥. صفوة التفاسير، تأليف: محمد علي الصابوني، دار القلم، مكتبة جدة، ط٥، بيروت، لبنان.
١٦. فن الشعر، ارسطوطاليس، ٣٣ ق.م، ترجمة أحسان عباس.
١٧. لمسات بيانية في نصوص التنزيل، د. فاضل صالح السامرائي، دار الشؤون الثقافية العامة، ط١، العراق، بغداد، ١٩٩٩.
18- Introduction of Drama, George Whitfield, by Oxford University press, Amen House, London, 1963.